قادة فتح الجَبَل

١ـ حذيفة بن اليمان العبسي.

٢ـ النعمان بن مقرن المزني.

٣ـ نعيم بن مقرن المزني.

٤ـ البراء بن عازب الأنصاري.

٥ـ ضرار بن الخطاب الفهري.

٦ـ السائب بن الأقرع الثقفي.

٧ـ القعقاع بن عمرو التميمي.

٨ـ جرير بن عبدالله البجلي.

٩ـ عبدالله بن عبدالله بن عتبان.

* * *

(٣٧٥) الصحابي الكبير
صاحب سِرِّ رسول الله ﷺ وفاتح مَاه[١] والدَّيْنَور[٢]
أبو عبدالله حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه

العارف بالمحن وأحوال القلوب، والمشرف على الفتن والآفات والعيوب، السابق رتق الأيام والأزمان، أبو عبدالله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٣].

من نجباء أصحاب محمد ﷺ. وهو صاحب السر[٤]. حليف الأنصار من أعيان المهاجرين هو أبو عبدالله العبسي حذيفة بن اليمان وهو حذيفة بن حِسْل ويُقال: حسين بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مالك. ويُقال: اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث.

وكان والده «حِسل» قد أصاب دمًا في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبدالأشهل، فسمّاه قومه «اليمان» لِحِلْفه لليمانية، وهم الأنصار.

وأمه من الأنصار من الأوس من بني عبدالأشهل، وهي الرباب بنت كعب بن عدي بن عبدالأشهل. وأخوه صفوان شهد أحدًا، ولم يشهد بدرًا، وأخته ليلى بنت اليمان أم سلمة بن ثابت بن وقش، وأخته الثانية فاطمة بنت اليمان.

وكان والده اليمان عاشر عشرة هم أول من أسلم من بني عبس.

عن إبراهيم قال: ذهب علقمة إلى الشام فأتى المسجد فصلى ركعتين فقال: اللهم ارزقني جليسًا فقعد إلى أبي الدرداء فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة،

---

(١) ماه: هي مدينة نهاوند، وإنما سُمِّيت بذلك، لأن حذيفة بن اليمان لما نازلها صالح أميرها الذي أسره المسلمون على الخراج والجزية وأمن أهلها على أموالهم وأنفسهم وذراريهم، وكان اسم ذلك الأمير: دينار. فسُمِّيت نهاوند يومئذ ماه دينار... انظر معجم البلدان (٧/٣٧٥).

(٢) الدينور: مدينة من أهم مدن الجبال قرب قرميسين، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخًا.

(٣) انظر حلية الأولياء (١/٣٣٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦١).

قال: أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره ـ يعني حذيفة ـ أليس فيكم أو كان فيكم الذي أجاره اللَّه على لسان رسول اللَّه ﷺ من الشيطان ـ يعني عمارًا ـ أو ليس فيكم صاحب السواك والوساد ـ يعني ابن مسعود....»[١].

وسُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين[٢].

وقال: عَلِمَ المنافقين، وسأل عن المعضلات؛ فإن تسألوه تجدوه بها عالِمًا[٣].

قال حذيفة: واللَّه إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة

وكان النبي ﷺ قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في هذه الأمة[٤].

وآخى رسول اللَّه ﷺ بينه وبين عمار بن ياسر، قاله ابن اسحاق.

- **جهاده مع النبي ﷺ:**

على الرغم من إسلام حذيفة المبكر إلا أنه لم يشهد بدرًا. ولذلك قصة:

قال حذيفة: ما منعني أن أشهد بدرا إلّا أني خرجت أنا وأبي، فأَخَذَنا كفار قريش؛ فقالوا: إنكم تريدون محمدًا! فقلنا: ما نريدُ إلا المدينة، فأخذوا العهد علينا: لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبي ﷺ فقال: «نَفِي بعهدهم، ونستعينُ اللَّه عليهم»[٥].

وشهد حذيفة أُحُدًا هو وأبوه وأخوه صفوان بن اليمان، وقُتِل أبوه يومئذ، وشهد حذيفة الخندق وما بعد ذلك من المشاهد مع رسول اللَّه ﷺ[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٨)، والنسائي في الفضائل (١٩٤)، وأحمد (٦/٤٤٩، ٤٥١).

(٢) المستدرك (٣/٣٨١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩١) في الفتن، وأحمد (٥/٣٨٨ و٤٠٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٨) في الجهاد: باب الوفاء بالعهد، وأحمد (٥/٣٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٣٧٩)، والطبراني (٣٠٠٠) و(٣٠٠١).

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٢٣٠).

- **استشهاد اليمان وخَيْرِيّة حذيفة:**

لما خرج النبي ﷺ إلى «أحد» رفع حِسل بن جابر وثابت بن وقش إلى الآكام مع النساء والصبيان وكانا شيخين كبيرين - فقال أحدهما للآخر:

«لا أبالك! ما ننتظر؟! إنا نحن هامة[1] اليوم أو غد»، فلحقا بالمسلمين ليرزقا الشهادة؛ فلما دخلا في الناس قتل المشركون ثابت بن وقش الأنصاري والتقت أسياف المسلمين على حِسل والد حذيفة، فنادى حذيفة: «أبي ... أبي...» فقتلوه وهم لا يعرفونه، فقال حذيفة: «يغفر اللَّه لكم» وتصدَّق بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول اللَّه ﷺ.

عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: **«لما كان يوم أحد هُزِم المشركون هزيمة بيِّنة فصاح إبليس: أيْ عباد اللَّه أُخراكم فرجعت أولاهم على أخراهم فاجتلدت مع أُخراهم فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى:**

أي عِباد الله... أبي... أبي... فقالت: فواللَّه ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر اللَّه لكم.

قال عروة: فواللَّه ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي اللَّه عَزَّ وَجَلَّ[2].

- **في غزوة الخندق كان حذيفة عينًا للنبي على الأحزاب:**

لله در حذيفة بن اليمان... لقد تبوأ عند النبي ﷺ منزلة عظيمة جعلته موضع ثقته في أحلك الظروف:

وقصة حذيفة كانت عند اشتداد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالأت عليهم الطوائف، فانتدب النبي ﷺ من يأتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة.

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبداللَّه أرأيتم رسول اللَّه ﷺ

---

(١) هامة: جثة هامدة.

(٢) رواه البخاري (٣٧٢٤).

وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: واللَّه لقد كنا نجهد. قال فقال: واللَّه لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي واللَّه لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ بالخندق، وصلى رسول اللَّه ﷺ هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال:

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول اللَّه ﷺ الرجعة - أسأل اللَّه - تَعَالَى - أن يكون رفيقي في الجنة؟» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول اللَّه ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال: «يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تأتينا» قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود اللَّه تفعل بهم ما تفعل لا تُقرّ لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناءً فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ مَن جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: مَن أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم واللَّه ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبَلَغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا إني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فواللَّه ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول اللَّه ﷺ إليّ «أن لا تحدث شيئًا حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول اللَّه ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل[1]، فلما رآني أدخلني إلى رجليْه وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلمَّا سلَّم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم»[2].

---

(١) قال ابن هشام: المراجل ضرب من وشْي اليمن.

(٢) حسن: سيرة ابن هشام (٣/٢٣١).

فانظر رحمك اللَّه إلى قمة الانضباط متمثلة في أبي عبداللَّه حذيفة، وكان يستطيع قتل أبي سفيان فلم يفعل امتثالًا لأمر رسول اللَّه ﷺ، ليُسلم أبو سفيان بعد ذلك ويحسن إسلامه.

كان الواجب الذي أنجزه حذيفة دليلًا على ذكائه الخارق وشجاعته النادرة وحسن تصرفه في معالجة الأمور.

- **جهاده بعد رسول اللَّه ﷺ:**

جاهد بطلنا بعد رسول اللَّه ﷺ، فشهد معركة اليرموك، «وكتبوا بفتح اليرموك معه إلى عمر بن الخطاب»[١].

وشهد حذيفة القادسية تحت لواء سعد بن أبي وقاص[٢]، وشهد معه معارك الفتح الأخرى إلى معركة فتح «المدائن»، وشهد فتح «الجزيرة» ونزل «نصيبين».

- **حذيفة بن اليمان قائد مجنبتيْ الجيش في معركة نهاوند، وقائد المسلمين بعد مقتل النعمان بن مقرِّن:**

كتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن يأمره بنهاوند فسار، وكتب عمر إلى عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه «نهاوند» فكان أسرعهم إلى ذلك الروادف ليبلوا في الدين وليدركوا حظًا، فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن[٣]، أي «كان حذيفة على رأس أهل الكوفة في هذا الجيش»[٤].

وتقدّم عمر إلى الجند الذين كانوا بالأهواز ليشغلوا فارسًا عن المسلمين وعليهم المقترب، وحرملة، وزر، فأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا أمداد فارس عن

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٢٥٩، ٢٦١).
(٢) تاريخ الطبري (٣/١٦).
(٣) الكامل (٢/٤١٤).
(٤) الطبري (٣/٢١٣).

أهل نهاوند، واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان، وابن عمر، وجرير بن عبدالله البجلي، والمغيرة بن شعبة وغيرهم[١].

«وكتب عمر إلى النعمان بتوليته الجيش، وقال: إن أُصِبْت فالأمير حذيفة بن اليمان، فإن أصيب فجرير بن عبدالله البجلي، فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة، فإن أصيب فالأشعث بن قيس»[٢].

وعبىء[٣] النعمان أصحابه وهم ثلاثون ألفًا، فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقرن، وعلى المجررة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود[٤].

وجعل النعمان يحرض جنوده ويُمنّيهم الظفر وقال لهم: إني مكبر ثلاثًا، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا وإن قُتِلت فالأمير بعدي حذيفة، فإن قُتِل ففلان حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة، ثم قال: اللهم اعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك» فبكى الناس، واقتتلوا قتالًا شديدًا لم يسمع المسلمون بوقعة كانت أشد منها، وقتل النعمان شهيدًا زلق به فرسه فصرع[٥].

ولما قُتِل النعمان سجّاه أخوه نعيم بثوب، وأخذ الراية قبل أن تقع وناولها حذيفة، فأخذها وتقدم إلى موضع النعمان وترك نعيمًا مكانه، وقال لهم المغيرة: «اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس»، فاقتتلوا، فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه، وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه باسبيذهان

---

(١) الكامل (٢/٤١٤).
(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣٠٠).
(٣) عبأ.
(٤) الكامل (٢/٤١٥).
(٥) الكامل (٢/٤١٦، ٤١٧).

فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد فيُقتلون جميعًا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مئة ألف أو يزيدون سوى مَن قُتِل في المعركة. وقُتِل في المعركة ثلاثون ألفًا سِوَى مَن قُتِل في الطلب، ولم يفلت إلا الشريد، ونجا الفيرزان من بين الصرعى، فهرب نحو «همذان» في ذلك الشريد فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدّم القعقاع أمامه فأدركه بثنية همذان وهي إِذْ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلًا، فحبسه الدواب على أجله، فلما لم يجد طريقًا نزل عن دابته وصعد في الجبل فتبعه القعقاع راجلًا فأدركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا: «إن لله جنودًا من عسل»[(١)].

- **لله در رجال حذيفة.. لله درّ سماك بن عبيد العبسي:**

«لما هزم الجيش الأعاجم وظهر المسلمون وحذيفة يومئذ على الناس حاصر نهاوند فكان أهلها يخرجون فيقاتلون وهزمهم المسلمون، ثم إن سماك بن عبيد العبسي اتبع رجلًا منهم ذات يوم ومعه ثمانية فوارس فجعل لا يبرز إليه رجل منهم إلا قتله حتى لم يبق غير الرجل وحده فاستسلم وألقى سلاحه فأخذه أسيرًا، فتكلم بالفارسية فدعى له سماك برجل يفهم كلامه فترجمه فإذا هو يقول: اذهب إلى أميركم حتى أصالحه عن هذه الأرض وأؤدي إليه الجزية وأعطيك على أسري إيّاي ما شئت فإنك قد مننت عليّ إذْ لم تقتلني. فقال له: وما أسمك؟ قال: دينار، فانطلق به إلى حذيفة فصالحه على الخراج والجزية وآمن أهل مدينة نهاوند على أموالهم وحيطانهم ومنازلهم فسُميت نهاوند ماه دينار وكان دينار يأتي بعد ذلك سماكًا ويهدي إليه بيره»[(٢)].

ودخل حذيفة ومعه المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة سنة ٢١هـ واحتووا ما فيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من الأسلاب والأثاث وأتى الهربذ صاحب

---

(١) الكامل (٢/٤١٧).

(٢) فتوح البلدان ص (٣٠٣).

بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال: أتؤمنني ومَنْ شئت على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان؟

قال: نعم، فأحضر جوهرًا نفيسًا في سفطين فأرسلهما مع الأخماس إلى عمر، وكان حذيفة قد نفل منها، وأرسل الباقي مع السائب بن الأقرع الثقفي ـ وكان كاتبًا حاسبًا ـ أرسله عمر إليهم وقال: إن فتح اللَّه عليكم فاقسم على المسلمين فيأهم، وخُذ الخمس، وإن هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الأرض خير من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح اللَّه على المسلمين وأحضر الفارسي السفطيْن اللذيْن أودعهما عنده النخيرجان فإذا فيهما اللؤلؤ، والزبرجد، والياقوت، فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر، فقال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال: ففعلت وخرجتُ سريعًا إلى الكوفة وبات عمر، فلما أصبح بعث في أثري رسولًا، فما أدركني حتى دخلتُ الكوفة فأنختُ بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال: الحق بأمير المؤمنبن فقد بعثنى في طلبك، فلم أقدر عليك إلا الآن.

قال: فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال: إليّ، ما ليَ وللسائب.

قلتُ: ولماذا؟ قال: ويحك واللَّه ما هو إلا أن نمتُ الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني إلى ذنيك السفطيْن يشتعلان نارًا فيقولون: لنكوينّك بهما، فأقول: إني سأقسمها بين المسلمين، فخذهما عني لا أبالك والحق بهما فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم.

قال: فخرجتُ بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة وغشيني التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف درهم، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالًا بعد. وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الرجل ألفيْن.

وكان المسلمون يسمّون فتح نهاوند «فتح الفتوح» لأنه لم يكن للفرس بعده

اجتماع ومَلك المسلمون بلادهم[١].

- **حذيفة الفاتح:**

قال الذهبي: «وحذيفة هو الذي ندبه رسول اللَّه ﷺ ليلة الأحزاب ليجُسَّ له خبر العدو. وعلى يده فُتِح الدِّيْنَوَر عَنْوَة»[٢].

وقال البلاذري «قال الزهري: لما هزم اللَّه المشركين بنهاوند رجع الناس إلى أمصارهم وبقي أهل الكوفة مع حذيفة فغزا أذربيجان فصالحوه على مئة ألف[٣].

وقال زيد بن وهب: لما هزم اللَّه المشركين بنهاوند رجع أهل الحجاز إلى حجازهم وأهل البصرة إلى بصرتهم. وأقام حذيفة بنهاوند في أهل الكوفة فغزا أذربيجان فصالحوه على ثمان مئة ألف درهم»[٤].

«قال خليفة: قال أبو عبيدة: مضى حذيفة بن اليمان يعني سنة اثنتين وعشرين - بعد نهاوند إلى مدينة نهاوند فصالحه دينار على ثمان مئة ألف درهم في كل سنة، وغزا حذيفة مدينة الدِّيْنور فافتتحها عنوة وقد كانت فُتِحت لسعد ثم انتقضت، ثم غزا حذيفة «ماسبذان»[٥] فافتتحها عنوة، وقد كانت فُتحت لسعد ثم انتقضت.

قال خليفة: ثم غزا الريّ فافتتحها عنوة، ولم تكن فُتحت قبل، وإليها انتهت فتوح حذيفة»[٦].

قال اللواء محمود شيت خطاب: «فتح حذيفة «الدينور» و«الري»[٧]، كما فتح «أذربيجان» إذ كان قائدًا عامًا على أهل الكوفة والبصرة، فأرسل قادته لفتح هذه

---

(١) الكامل (٢/٤١٧- ٤١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٤).

(٣) فتوح البلدان ص (٣٢٢).

(٤) المصدر السابق ص (٣٢٣).

(٥) مدينة عظيمة في قبلة همذان، بينهما ثلاثة أيام.

(٦) تاريخ خليفة ص (١٥٠)، وتاريخ دمشق (١٢/٢٨٧).

(٧) الري: مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال.

البلاد، ففتح «الدينور» أبو موسى الأشعري، وفتح «الرِيّ» نعيم بن مقرن المزني، وفتح «أذربيجان» عتبة بن فرقد السلمي، وبكير بن عبدالله الليثي، ثم عاد حذيفة إلى الكوفة[١] حيث ولّاه عمر بن الخطاب على ما سقت دجلة»[٢].

وفي أيام الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان تولى حذيفة قيادة أهل «الكوفة» في معارك «أرمينية»، فغزا تلك المناطق ثلاث غزوات، وكان مشتبكًا بالعدو في الغزوة الثالثة حين جاءه نبأ مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، وكان حذيفة قد شهد معارك «باب الأبواب»[٤] مددا لعبدالرحمن بن ربيعة الباهلي[٥].

- **أمير «المدائن» الزاهد حذيفة بن اليمان:**

قال طلحة: قدم حذيفة المدائن على حمار سادلًا رجليه، وبيده عَرْق ورغيف[٦] قال محمد بن سيرين: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملًا كتب في عهده: أن اسمعوا له، وأطيعوا ما عدل فيكم، قال: فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا، وأعطوه ما سألكم، قال: فخرج حذيفة من عند عمر على حمار موكف، وعلى الحمار زاده فلما قدم المدائن استقبله أهل الأرض والدهاقين، وبيده رغيف وعَرْق من لحم على حمار على إكاف قال: فقرأ عهده عليهم. فقالوا: سلنا ما شئت. قال: أسألكم طعامًا آكله وعَلف حماري هذا ما دمت فيكم، مرتين. قال: فقام فيهم ما شاء اللَّه ـ تَعَالَى ـ ثم كتب إليه عمر: أَن أقدِم، قال: فلما بلغ عمر قدومه كَمَن له على الطريق في مكان لا يراه فلما رآه عمر على الحالة التي خرج من عنده عليها أتاه فأكرمه وقال: أنت

---

(١) الطبري (٣/٢٢٩).
(٢) الطبري (٣/٢٢٣).
(٣) الطبري (٣/٣٥٣).
(٤) باب الأبواب: ميناء كبير على بحر الخزر.
(٥) الكامل لابن الأثير.
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣١٧)، وحلية الأولياء (١/٢٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/٣٦٦).

أخي وأنا أخوك[١].

هذا الصحابي النجيب الزاهد تمنى عمر رضي الله عنه رجالًا مثله، فعن أسلم أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن تكون ملء هذه الدار دراهم فأنفقها في سبيل الله عز وجل، فقال عمر: تَمَنَّوْا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا فأنفقه في سبيل الله عز وجل، فقال عمر: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن تكون ملء هذا البيت جواهر فأنفقها في سبيل الله عز وجل، فقال عمر: تمنوا، فقالوا: ما نتمنى بعد هذا؟ فقال عمر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالًا مثل أبي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان أستعملهم في طاعة الله عز وجل[٢].

حذيفة بن اليمان العبد الصالح المبارك الذي دعا له النبي ﷺ وقال له «**غفر الله لك ولأمك**»[٣].

حذيفة الصحابي المبارك الذي أشار على عثمان رضي الله عنه فجمع القرآن وهو الذي كتب إلى عمر لما رأى أن طقس «المدائن» أثر على صحة العرب أبناء الصحراء: «إن العرب قد رقت بطونها، وجفت أعضائها، وتغيرت ألوانها»، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: «أرسل سليمان الفارسي، وحذيفة رائديْن، فليرتادا منزلًا بريًا بحريًا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر» فأرسلهما سعد، فاختارا موضع الكوفة.

حذيفة المبارك الذي قال لما حضره الموت: حبيب جاء على فاقة؛ لا أفلح من ندم أليس بعدي ما أعلم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة! قادتها وعلوجها[٤]. وجعل يقول: «أعوذ بالله من صباح إلى النار»[٥] لما نزل بهذا العبد النجيب الصالح الموت جعل يقول: «هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أني أحبك، فبارك

(١) تاريخ دمشق (١٢/٢٨٦).
(٢) تاريخ دمشق (١٢/٢٨٥).
(٣) حسن: جزء من حديث حسن رواه النسائي في «فضائل الصحابة» (١٩٣) عن حذيفة بن اليمان.
(٤) تاريخ دمشق (١٢/٢٩٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/٣٦٨).
(٥) تاريخ دمشق (١٢/٢٩٦).

لي في لقائك»[١].

وقال في مرض موته: اللهم إنك تعلم لولا أني أرى هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العزّ، وأختار الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم»[٢] وقال: «مرحبًا بالموت وأهلًا، مرحبًا بحبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إني لم أحب الدنيا لحفر الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لسهر الليل، وظمأ الهواجر، وكثرة الركوع والسجود والذكر لله عَزَّ وَجَلَّ كثيرًا، والجهاد في سبيله، ومزاحمة العلماء بالركب[٣].

- **حذيفة القائد:**

«كان حذيفة كاتم سرّ رسول الله ﷺ في حياته، وبتعبير آخر، كان ضابط استخبارات الرسول ﷺ في حياته، اختاره دون غيره من بين أصحابه، لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد فلا يفشي سرّه لأحد، وبحضور البديهة، فلا يرتبك عند الشدائد، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات فلا يفشي نياته لبشر، وبالذكاء الخارق، وبموهبة حب الاستطلاع هذه المزايا كلها هي مزايا ضابط الاستخبارات المثالي، وقد كان لها أثر في حياته كلها: كلما وجد «خبرًا» يؤثر في مصير الإسلام والمسلمين أخبر به المسئولين فورًا، وقد رأيت كيف أخبر عمر عندما وجد وخومة الجو تؤثر على صحة العرب، فكان حذيفة عاملًا من عوامل بناء الكوفة والبصرة وقد رأيت كيف أخبر عثمان بن عفان عن اختلاف المسلمين في قراءات القرآن، فجمع عثمان المسلمين على مصحف واحد.

وهذه المزايا بالذات برزت في قيادة حذيفة، فلم يورِّط جيوشه في معارك دون

---

(١) المصدر السابق (١٢/٢٩٧).

(٢) تاريخ دمشق (١٢/٢٩٨).

(٣) المصدر السابق (١٢/٢٩٩).

أن يتبين موطئ قدمه، وذلك بالحصول على المعلومات عن العدو وعن طبيعة الأرض، وبذلك كانت خططه العسكرية مبنية دائمًا على معلومات دقيقة صحيحة، وكانت نتائجها دائمًا في صالح المسلمين»[١].

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الفاتح العظيم، والصحابي النجيب، صاحب سرّ رسول الله ﷺ وأعلم الأمة بالمنافقين والفتن، الأمير الزاهد فاتح البلاد الشاسعة ماه، والدينور، وأذربيجان والري أبي عبدالله حذيفة بن اليمان العبسي.

* * *

---

(١) قادة فتح بلاد فارس ص (١١٦).

(٣٧٦) الصحابي الشهيد والقائد مجاب الدعوة
أبو حكيم النعمان بن مُقرِّن المُزني
فاتح رام هرمز[١]
وشهيد معركة «نهاوند» «فتح الفتوح»

أبو حكيم؛ وقيل أبو عمرو المزني؛ صاحب رسول اللَّه ﷺ النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ المزني.

قال الذهبي: «وكان مجاب الدعوة»[٢].

- **بيت مقرن من بيوت الإيمان:**

قال عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن»[٣].

لقد كان أبناء مقرن عشرة، كلهم أسلم وصحبوا النبي ﷺ وليس ذلك لأحد من العرب غيرهم، وكانوا من جلة الصحابة وهم:

١ـ النعمان بن مقرن صاحب الترجمة. ٢ـ نعيم. ٣ـ عبدالله. ٤ـ سنان.
٥ـ سويد. ٦ـ عبدالرحمن. ٧ـ عقيل. ٨ـ معقل. ٩ـ مرضي[٤].
١٠ـ وضرار[٥]. وهم من مزينة مضر.

---

(١) رام هرمز: لفظة مركبة معناها مقصود هرمز أو مراد هرمز. فمعنى رام بالفارسية: المراد والمقصود، وهرمز: أحد الأكاسرة. وهذه المدينة مدينة مشهورة بنواحي «خوزستان».
(٢) سير أعلام البنلاء (٢/٣٥٧).
(٣) أسد الغابة (٥/٣٢٤).
(٤) كان يحسن الكتابة، وهو الذي كتب وثيقة الصلح مع أهل الباب.
(٥) أمّره خالد عند حصار الحيرة.. انظر الطبري (٢/٥٦٤). وانظر تراجم الإخوة العشرة في الإصابة.

- **إسلامه:**

كان أول من وفد على رسول اللّٰه ﷺ من مضر، أربع مئة فارس من مزينة، وذلك في رجب سنة خمس[١] على رأسهم النعمان ومعه إخوته.

- **جهاده:**

أول مشاهد النعمان وإخوته الخندق، وشهد مع النبي ﷺ غزواته بعد الخندق[٢]. وكان معه لواء مزينة يوم فتح مكة[٣] وقد شهد الفتح من مزينة ألف وثلاثة نفر[٤] أي عُشر قوات المسلمين يوم الفتح.

- **جهاده بعد النبي:**

(أ) ثبت النعمان ومعه قومه بعد موت النبي ﷺ على إسلامه، وكان له ولإخوته أثر بالغ وعظيم في قتال المرتدين.

وحين ظن المرتدون من عبس وذبيان ـ ومن انضم إليهم من بني كنانة وغطفان وفزارة ـ الوهن بالمسلمين في المدينة، بات الصدّيق ليلة يتهيأ، فعَبّأ الناس ثم خرج في الثلث الأخير من الليل، وعلى ميمنته النعمان وعلى ميسرته أخوه عبداللّٰه وعلى الساقة أخوه سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهُم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًا حتى وضعوا فيهم السيوف قبل شروق الشمس، ولم تشرق الشمس حتى هزم المشركون وذلوا، وطاردهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة ووضع فيها حامية من المسلمين بقيادة النعمان وعاد إلى المدينة[٥].

وبعد عودة أسامة بن زيد إلى المدينة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٢٢/١).

(٢) الطبقات (٩٦/٦).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٣٥٦/٢)، والإصابة (٣٥٧/٦).

(٤) سيرة ابن هشام (٤٢/٤).

(٥) الطبري (٤٧٨/٢).

ليستريحوا ثم خرج أبو بكر بنفسه لقتال المرتدين من عبس وبني بكر وذبيان في منطقة «الربذة» وكان على ميمنته النعمان، وناشد المسلمون الصديق ليقيم فأبى وقال «لأواسينكم بنفسي» وسار الصديق بجيشه إلى ذي حسي وذي القصة حتى نزل الأبرق فقاتل من به، فهزم اللَّه المشركين، وأخذ الحطيئة أسيرا، فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر بالأبرق أيامًا وغلب على بني ذبيان وبلادهم وحماها لدوابّ المسلمين وصدقاتهم، ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلى طلحة وهو ببزاخة، وعاد أبو بكر إلى المدينة بعد أن طهر شمال وشمال شرقي المدينة من المرتدين(١).

ب ـ في القادسية:

أرسل سعد بن أبي وقاص وفدًا إلى يزدجرد ملك الفرس عملًا بوصية عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «لا يكربنك ما يأتيك عنهم، واستعن بالله، وتوكل عليه، وابعث إليه رجالًا من أهل المناظرة، والرأي، والجلد يدعونه فإن اللَّه جاعل دعاءهم توهينًا لهم».

أرسل سعد نفرًا منهم: النعمان بن مقرن، وبُسْر بن أبي رُهم، وحملة بن جُوية، وحنظلة بن الربيع، وفرات بن حيان، وعديّ بن سهيل وعطارد بن حاجب، والمغيرة بن زرارة بن النباش الأسدي، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معديكرب، والمغيرة بن شعبة، والمعنى بن حارثة إلى يزدجرد دعاة، فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد، وطووارشيم، واستأذنوا على يزدجرد فحُبسوا وأحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع بهم ويقوله لهم، واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها صهال، وعليهم البرود وبأيديهم السياط فأذن لهم وأحضر الترجمان، وقال له: سَلْهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوغ ببلادنا؟ أمِن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه: إن شئتم تكلمتُ عنكم ومن شاء آثرته.

(١) الطبري (٢/٤٧٩)، والكامل (٢/٢٠٧).

فقالوا: بل تكلم. فقال: «إن اللَّه رحمنا فأرسل إلينا رسولًا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلّا وقارّبَه منها فرقة، وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن نبتدئ إلى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين، مكره عليه فاغتبط، وطائع فازداد، فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا أن نبتدئ مَن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حَسّن الحسن وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شرٌّ منه: الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب اللَّه وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإنْ بذلتم الجزاء قبلنا، ومنعناكم وإلّا قاتلناكم».

فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قوى الضواحي فيكفونا أمركم لا تغزوكم فارس ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فإن كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم وملّكنا عليكم ملكًا يرفق بكم.

وبعد أن تكلم رجال الوفد قال يزدجرد: لولا أن الرُّسُل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي ثم استدعى بوقر[1] من تراب. فقال: احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، فقام عاصم بن عمر وأخذ التراب وحمله على عنقه، وركب راحلته حتى أتى هو والوفد سعد، فقال عاصم لسعد: «أبشر، فواللَّه لقد أعطانا اللَّه أقاليد ملكهم».

ولقد أثر هذا اللقاء في يزدجرد أشد تأثير فقال لرستم ومن حضر عنده من ساباط «ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جوابًا منهم، ولقد

(١) الوِقْر: الحِمْل الثقيل.

صدقني القوم لقد وُعِدُوا أمرًا ليدركنه أو ليموتن عليه»[١].

وكانت معركة القادسية وفيها أبلى النعمان بلاءً حسن، ونصر اللَّه جنده وأعزّ دينه.

- **النعمان الفاتح لرام هرمز بالأهواز سنة ١٧ هـ:**

كان فتح رامهرمز، وتُسْتَر، والسوس في سنة سبع عشرة.

وكان سبب الفتح أن يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير أهل فارس أسفًا على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز وتعاقدوا على النُّصرة فجاءت الأخبار إلى عمر، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا مع النعمان بن مقرّن وعجّل، فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره»، وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا وأمر عليهم سهل بن عدي أخا سهيل، وابعث معه البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، وعرفجة بن هرثمة وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعًا أبو سبرة بن أبي رُهم.

وخرج النعمان بن مقرّن في أهل الكوفة فسار إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، فخلّف حرقوصًا، وسلمى، وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامْهُرمز، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره بالشدّة ورجا أن يقتطعه ومعه أهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان فاقتتلوا قتالًا شديدًا، ثم إن اللَّه عَزَّوَجَلَّ هزم الهرمزان فترك رام هرمز ولحق بتُستر، وسار النعمان إلى رامهرمز ونزلها، وصعد إلى إيذج[٢]، فصالحه تيرويه على «إيذج» ورجع إلى رامهرمز فأقام بها، ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رامهرمز فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر فساروا نحوه، وسار النعمان أيضًا، وسار حرقوص،

---

(١) الكامل (٢/٣٠٥، ٣٠٦).

(٢) كورة وبلد بين خوزستان وأصفهان.

وسلمى، وحرملة، وجزء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس، والجبال، والأهواز في الخنادق، وأمدهم عمر بأبي موسى وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سبرة، فحاصروهم أشهرًا وأكثروا فيهم القتل حتى كان النصر، وسلّم الهرمزان نفسه للمسلمين على أن يقرِّر مصيره عمر بن الخطاب بنفسه[١].

وخرج أبو سبرة لمطاردة المنهزمين إلى مدينة «السوس»[٢] وبها شهريار أخو الهرمزان وكان مع أبي سبرة النعمان بن مقرن على أهل الكوفة، وأبو موسى الأشعري، وبقي النعمان محاصر (السوس) حتى جاء أمر عمر إلى النعمان بالمُضي إلى «نهاوند»، فناوشهم القتال قبل مسيره، فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم، وكان صاف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان فأتى صاف باب السوس فدقّه برجله فقال: انفتح بظار وهو غضبان فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق، وتفتحت الأبواب، ودخل المسلمون، وألقى المشركون بأيديهم، ونادوا الصلح الصلح، فأجابهم المسلمون إلى ذلك بعدما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افترقوا، فسار النعمان إلى نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على «جنديسابور» مع زر[٣].

ج - في نهاوند «فتح الفتوح» سنة ٢١هـ أقرّ اللَّه عين النعمان بالفتح وختم له بالشهادة:

«وهي وقعة عظيمة جدًا لها شأن رفيع ونبأ عجيب، وكان المسلمون يسمونها «فتح الفتوح». وكان الذي هاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز، ومنعوا جيش العلاء من أيديهم، واستولوا على دار الملك القديم من إِصْطَخْر مع ما حازوا

---

(١) الكامل (٢/٣٨٩- ٣٩٠).

(٢) بلدة بخوزستان.

(٣) الكامل (٢/٣٩٢- ٣٩٣).

من دار مملكتهم حديثًا، وهي المدائن، وأخذوا تلك المدائن والأقاليم والكُور والبلدان الكثيرة، فحَمُوا عند ذلك، واستجاشهم يَزْدَجِرد الذي تقهقر من بلدٍ إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعدًا طريدًا، لكنه في أسرة من قومه وأهله وماله، فكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان فتجمّعوا وتراسلوا حتى كمل لهم من الجنود ما لم يجتمع لهم قبل ذلك.

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند، وحتى اجتمع منهم مئة ألف وخمسون ألف مقاتل، وعليهم الفَيْرُزان، ويُقال: بُنْدار.

ويُقال: ذو الحاجب، وتذامروا فيما بينهم وقالوا: إن محمدًا الذي جاء العرب لم يتعرّض لبلادنا، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرّض لنا في دار ملكنا، وإن عمر بن الخطاب هذا لمّا طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا، وأخذ بيت المملكة، وليس بمُنتهٍ حتى يخرجكم من بلادكم، فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغلوا عمر عن بلاده، وتواثقوا من أنفسهم، وكتبوا بذلك عليهم كتابًا، وكتب سعد بذلك إلى عمر، وجاء كتاب عبدالله بن عبدالله بن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظَفْر العبدي بأنهم قد اجتمعوا، وهم متحرقون متذامرون على الإسلام وأهله وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدهم فنعاجلهم عمّا همّوا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا. فقال عمر لحامل الكتاب: ما اسمك؟ قال: قريب. قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن ظفر. فتفاءل عمر بذلك، وقال: ظَفَر قريب. ثم أمر فنودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقّاص، فتفاءل عمر أيضًا بسعد، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، إني قد رأيت أن أسير بمن قبلي حتى أنزل منزلًا وسطًا بين هذيْن المصَريْن فأستنفر الناس، ثم أكون لهم ردءًا حتى يفتح الله عليهم. فقام عثمان

وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ولكن يبعث البعوث ويحضرهم برأيه ودعائه. ثم قال عمر: أشيروا عليَّ بمن أُوَلِّيه أمر الحرب، وليكن عراقيًا. فقالوا: أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين. فقال: أما والله لأولّين رجلًا يكون أوّل الأسنة إذا لقيها غدًا. فقالوا: من يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن. فقالوا: هو لها[١].

وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو نائب له على كَسْكَر[٢]، وسأله أن يعزله عنها، لأنه لا يريد أن يكون جابيًا ويريد أن يكون غازيًا. وكتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود منها، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة، وكتب إلى النعمان ـ وكان بالبصرة ـ أن يسير بمن هنالك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكُلٌّ أميرٌ على جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن.

كتب عمر إلى والي الكوفة يأمره أن يستنفر ثلثي الناس ويبقى ثلثهم[٣]، وكتب عمر إلى كافة قادة القوات: «إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزني»[٤]، كما كتب إلى أمراء الأجناد في الأهواز: أن يشاغلوا أهل فارس عن إخوانهم، وأراد بذلك أن يقطع الإمدادات الفارسية عن أهل نهاوند من جهة، ويشاغل القوات الفارسية في جبهات متعددة ليضعفها وليضرب ضربته الحاسمة في نهاوند.

وأرسل عمر رضي الله عنه كتابًا إلى النعمان جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن، سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١١١- ١١٦)، والكامل (٢/٤١١- ٤١٤).
(٢) كسكر: كورة كبيرة واسعة قصبتها مدينة واسط التي بين الكوفة والبصرة.
(٣) فتوح البلدان ص (٣٠٠).
(٤) تاريخ الطبري (٣/٢٠٦).

لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ بأمر اللّه وبعون اللّه وبنصر الله، وبمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وَعْرًا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقّهم فتُكْفِرَهم، ولا تُدخلهم غَيْضة [١]، فإن رجلًا من المسلمين أحب إليّ من مئة ألف دينار، والسلام عليك، فسِرْ في وجهك ذلك حتى تأتي ماه، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يُوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جنودك فسِرْ إلى الفيرُزان ومن يجتمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا الله، وأكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله [٢].

وأرسل النعمان جماعات استطلاعية لمعرفة أخبار الفرس: طليحة وعمرو بن معديكرب الزبيدي، وعمرو بن أبي سلمى، ويُقال له: عمرو بن ثُبيّ ليكشفوا خبر القوم وما هم عليه فسار طليحة ولم يحفل برجوع صاحِبَيْه حتى اِنتهى إلى نهاوند، ودخل في العجم وعَلِم من أخبارهم ما أحبّ، ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك، وأنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه.

فسار النعمان على تعبئته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن، وعلى المُجَنِّبتيْن حذيفة وسوْيد بن مقرن [٣]، وعلى المجرَّدَة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان، ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة، وهو في مئة وخمسين ألفًا. فلما تراءا الجمْعان كبّر النعمان وكبّر المسلمون ثلاث تكبيرات، فزُلزلت الأعاجم ورُعِبوا من ذلك رُعْبًا شديدًا، ثم أمر النعمان بحطّ الأثقال وهو واقف، فحطّ الناس أثقالهم، وتركوا رجالهم، وضربوا خيامهم وقِبابهم، وضرب فسطاط للنعمان عظيم، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشراف الجيش، وهم حذيفة بن اليمان، وعُقبة بن عمرو،

---

(١) الغيضة: الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فيه الشجر.

(٢) تاريخ الطبري (٣/٢٥٣).

(٣) عند البلاذري ص (٣٠٢): على ميمنته الأشعث بن قيس الكندي، وعلى ميسرته المغيرة بن شعبة.

والمغيرة بن شعبة، وبَشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب، وابن الهَوْبَر، وربعي بن عامر، وعامِر بن مطر، وجرير بن عبدالله الحِمْيرَي، وجرير بن عبدالله البَجَلي، والأقرع بن عبدالله الحَمْيري، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهَمْداني، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة. وحين حطُّوا الأثقال أمر النعمان بالقتال. وكان يوم الأربعاء، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سِجال، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا. وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلًا من المسلمين ليكلمه، فذهب إليه المغيرة بن شعبه، فذكر من عظمة من رآه عليه في لبسه ومجلسه، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهانته بهم، وأنهم كانوا أطول الناس جوعًا، وأقلهم دارًا وقدْرا، وقال: ما يَمْنع هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنُّشَّاب إلا تَنجُّسًا مِن جيفكم، فإن تذهبوا نُخَلِّ عنكم، وإن تأبَوْا نُزِركم مصارعكم، قال: فتشهَّدت وحمدت الله، وقلت: لقد كنا أسوأ حالًا مما ذكرت، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، وما زلنا نتعرّف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا، وقد جئناكم في بلادكم، وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على بلادكم وما في أيديكم، أو نُقتل بأرضكم. فقال: أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه[1] فلما طال على المسلمين هذا الحال واستمرّ، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش، واشتَوَرُوا في ذلك، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد. فتكلم عمرو بن أبي سُلْمَى أولًا ـ وهو أَسَنُّ من كان هناك ـ فقال: إن بقاءهم على ما هم عليه أضرّ عليهم من الذي يطلبه منهم وأبقى على المسلمين. فردّ الجميع عليه وقالوا: إنا لعلى يقين من إظهار ديننا، وانجاز موعود الله لنا. وتكلم عمرو بن معديكرب فقال:

(١) البداية والنهاية (١٠/١١٩- ١٢٠).

ناهِدْهم وكاثِرْهم ولا تَخَفْهم. فردُّوا جميعًا عليه وقالوا: إنما يُناطح بنا الجدران، والجدران أعوان لهم علينا.

وتكلم طليحة الأسَدِي فقال: إنهما لم يُصيبا وإني أرى أن تبعث سرية فتُحْدِق بهم ويُنَاوشوهم بالقتال ويحْمِشُوهم، فإذا برزوا إليهم فليَفِرُّوا إلينا هِرَابًا بين أيديهم، فإذا استطردوا وراءهم وانتهوا إلينا، عزمنا أيضًا على الفِرار كلنا، فإنهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة، فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم، فإذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضي اللَّه بيننا فاستجاد الناس هذا الرأي.

وأمَّر النعمان على المجردة القعقاع بن عمرو، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم، ففعل القعقاع ذلك، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاع بمن معه، ثم نكص، ثم نكص، فاغتنمها الأعاجم، ففعلوا ما ظنّ طليحة، وقالوا: هي هي. فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلّا من يحفظ لهم الأبواب، حتى إنتهوا إلى الجيش، والنعمان بن مقرن على تعبئته، وذلك في صدر نهار جمعة، فعزم الناس على مصادمتهم فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس، وتهُبَّ الأرواح، وينزل النصر، كما كان رسول اللَّه ﷺ يفعل، وعهد النعمان إلى الناس عهده وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي، وأقبل المشركون عليهم وعلى مجنبتهم الزردق، و«بهمن جاذويه» الذي جعل مكان ذي الحاجب[1]، يرمون المسلمين حتى أفشوا فيهم الجراح، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض وقالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم، فقال رويدًا رويدًا، وكان النعمان رجلا مكيثًا ثابتًا والحرب لا يصلح لقيادتها إلا مثله - وركب النعمان فرسه، وسار في الناس ووقف عند كل راية يذكّرهم ويحرضهم ويمنيّهم الظفر، وقال لهم: إني مكبِّر ثلاثًا فإذا كبّرت فإني حامل إن

(١) قرن الفرس بعضهم بعضا كل سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا.

شاء اللَّه فاحملوا، وإن قُتِلتُ فالأمير بعدي حذيفة، فإن قُتِل ففلان حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة. ثم قال: اللهم أعزز دينك، وأنصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك.

وفي رواية أخرى: قال: اللهم إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإسلام، واقبضني شهيدًا.

فبكى الناس ورجع إلى موقفه فكبر ثلاثًا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال، وحمل النعمان والناس معه، وانقضت رايته انقضاض العقاب، والنعمان معلّم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالًا شديدًا لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها، وما كان يُسمع إلا وقع الحديد، وصبر لهم المسلمون صبرًا عظيمًا، وقُتِل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبّق وجه الأرض دمًا، بحيث أن الدواب كانت تطبع فيه، حتى أن النعمان زلق به حصانه في ذلك الدم فوقع وجاءه سهم في خاصرته فقتله، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سُوَيْد، وقيل: نُعَيم، فغطّاه بثوبه، وأخفى موته، ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، فأقام حذيفة أخاه نعيمًا مكانه، وأمر بكتم موته حتى ينفصل الحال، لئلا يُهزم الناس. فلما أظلم الناس انهزم المشركين مدبرين وتبعَهم المسلمون - وكان الكفار قد قرّنوا منهم ثلاثين ألفًا بالسلاسل وحفروا حولهم خندقًا، فلما انهزموا وقعوا في الخندق في تلك الأودية نحو مئة ألف، وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم، فهلك منهم بشر كثير نحو مئة ألف أو يزيدون، سوى من قُتِل في المعركة، ولم يفلت منهم إلا الشريد، وكان الفيرُزان أميرهم قد صُرِع في المعركة فانفلت وانهزم، وأتبعه نعيم بن مقرن، وقدّم القعقاع بين يدْيه، وقصد الفيرزان همذان، فلحقه القعقاع وأدركه عند ثنية همذان، فتوقّل[1] في الجبل، فأتبعه القعقاع حتى قتله[2] وانتصر المسلمون نصرًا

(١) توقل في الجبل يقل ويتوقّل: صعّد فيه.
(٢) البداية والنهاية (١٠/١٢٠- ١٢٢).

عزيزًا غاليًا.

وكان ما كان من دخول حذيفة نهاوند عَنوة وتم فتح نهاوند. وبعثوا بالأخماس والسَّبْي مع السائب بن الأقرع، وأرسل قبله بالفتح مع طريق بن سهم. ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة في الغانمين، ورضَخ ونفل لذوي النَّجدات، وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من ورائهم، ومن كان رِدْءًا لهم، ومنسوبًا إليهم.

وأما أمير المؤمنين فإنه كان يدعو اللَّه ليلًا ونهارًا لهم، دُعاء الحوامِل المُقربات، وابتهال ذوي الضرورات، وقد استبطأ الخبر عنهم، وأن الناس كانوا مما يرون من استنصاره، ليس همهم إلا نهاوند وابن مقرن، فجاء إليهم أعرابي مهاجر، فلما بلغ البقيع، قال: ما أتاكم عن نهاوند؟

قالوا: وما ذاك؟ قال: لا شيء. فأرسل إليه عمر، فأتاه، فقال: أقبلت بأهلي مهاجرًا حتى وردنا مكان كذا وكذا، فلما صدرنا إذا نحن براكب على جمل أحمر ما رأيت مثله، فقلتُ: يا عبدالله، من أين أقبلت؟ قال: من العراق. قلتُ: ما خبر الناس؟ قال: اقتتل الناس بنهاوند، ففتحها الله، وقُتِل ابن مقرن، واللَّه ما أدري أيّ الناس هو؟ ولا ما نهاوند؟ فقال: أتدري أيّ يوم ذاك من الجمعة؟ قال: لا. قال عمر: لكني أدري! عُدّ منازلك. قال: نزلنا مكان كذا، ثم ارتحلنا، فنزلنا منزل كذا، حتى عدّ. فقال عمر: ذاك يوم كذا وكذا من الجُمُعة، لعلك تكونُ لقيت بريدًا من بُرد الجنّ، فإن لهم بردًا. فلبث ما لبث، ثم جاء البشير بأنهم التقوا ذلك اليوم(١).

ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام، وليس معه سوى الفتح، وقدم السائب بالأخماس فأخبر بالأمر على جليّته. ولما أُخبر عمر بمقتل النعمان وضع يده على رأسه وبكى، وخرج إلى الناس، فنعاه على المنبر إلى المسلمين وبكى(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٥٧) ورجاله ثقات.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٥٧)، وأسد الغابة (٥/٣٢٤)، وفي الكامل: (٢/٤١٨): قال عمر: إنا لله=

وسأل عمر السائب عمن قُتِل من المسلمين فقال: فلان وفلان وفلان لأعيان الناس وأشرافهم. ثم قال: وآخرون من أَفنَادِ الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين. فجعل عمر يبكي ويقول: وما ضرّهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين! لكن اللَّه يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر[1].

قال الشعبي: وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف، وللراجل ألفان، ونال كل فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطيْن وكان المسلمون ثلاثين ألفًا[2].

قال الشعبي: لما قُدِم بسبي نهاوند إلى المدينة، جعل أبو لؤلؤة فيروز غِلام المغيرة ابن شعبة ـ لا يلْقى منهم صغيرًا إلا مسح على رأسه وبكى، وقال: أكل عمر كبدي. وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند.

قالوا: ولم تقم للأعاجم بعد هذه الوقعة قائمة، وألحق عمر الذين أبلوْا فيها في ألفيْن تشريفًا لهم وإظهارًا لشأنهم.

لما تمّ الظفر للمسلمين في نهاية يوم الفتح جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل: «**هذا أميركم، قد أقرّ اللَّه عينه بالفتح وختم له بالشهادة**»[3].

يقول الحافظ ابن كثير عن النعمان بن مقرن: «أمير وقعة نهاوند، صحابي جليل القدر... فتح اللَّه على يديه فتحًا عظيمًا... ومكّن اللَّه له في تلك البلاد، ومكّنه من رقاب أولئك العباد، ومكّن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأتاح له بعد ما أراه ما أحبّ شهادة عظيمة، وذلك

= وإنا إليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه.

(١) البداية والنهاية (١٠/١٢٤).

(٢) البداية والنهاية (١٠/١٢٥).

(٣) الكامل (٢/٤١٧).

غاية المراد، فكان ممن قال الله ـ تَعَالَى ـ في حقه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١](١).

- **النعمان القائد:**

«كان النعمان جنديًا بمعنى الكلمة، يفضِّل دائمًا أن يكون غازيًا في الصفوف الأمامية في ساحات القتال على أن يكون «واليًا» في المدن العامرة متنعمًا في المنازل والقصور.

وكان فارسًا مقدامًا لا يعرف التردد والفرار، مكيثًا غير متسرِّع إلا لانتهاز فرصة سانحة، ومن الواضح من سير أعماله أنه كان يقدر الموقف العسكري بكل دقة ويعد كافة متطلبات المعركة قبل الإقدام على زجّ رجاله في المعركة.

وكان دائمًا في الصفوف الأمامية بين جنوده ليضرب لهم مثالًا شخصيًا يحتذى به في الشجاعة والإقدام.

وكان يمتاز بمحاولته الحصول على أخبار عدوّه قبل الحركة وفي أثنائها، وقبل نشوب القتال وفي أثنائه، وكان لا يتحرك إلا على تعبية كاملة حتى يحول دون مباغتة العدو لقواته وإيقاع الخسائر بهم بدون مبرر.

وكان كثير الاستشارة لذوي الرأي من رجاله، فلا يقدم على عمل قبل أن يأخذ آراءهم ويستمع إلى مناقشاتهم حتى يتوصل إلى الفكرة المعقولة فيعمل بها، ذلك لأنه كان يحرص على مصير كل جندي من جنوده أكثر مما يحرص على مصيره هو!!

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١٤٩).. دار عالم الكتب.

لقد كان مثالًا للقائد الذي يضحي بنفسه في سبيل مصلحة رجاله. قال أخوه معقل بن مقرن المزني: «أتيت النعمان وبه رمق، فغسلت وجهه من إدواة[١] ماء كانت معي، فقال: مَن أنت؟ قلت: معقل! قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح اللّه ونصره، قال: الحمد لله.. اكتبوا إلى عمر[٢].

هذا هو القائد الذي لم يفكر في نفسه حتى في ساعة احتضاره بل فكّر في المصلحة العامة للمسلمين، فلما اطمأن إلى أنها بخير، أسلم روحه قرير البال مرتاح الضمير ... هذا هو القائد!...

يذكر التاريخ للنعمان بلاءه المجيد في حروب خورستان، وأخيرًا توّج نهاية حياته بفتح «نهاوند» من أعظم وأكبر مدن فارس حينذاك.. وتوّج حياته بنهاية مشرفة هي أكبر من فتح نهاوند ومن كل فتح بالشهادة»[٣].

* * *

---

(١) إدواة: المطهرة، جمعها: الأداوي بوزن المطايا.

(٢) البلاذري ص (٣٠١).

(٣) «قادة فتح بلاد فارس» ص (١٠٦ـ ١٠٧).

(٣٧٧) الصحابي القائد
نعيم بن مقرِّن المزني رضي الله عنه
قائد المقدمة في معركة نهاوند وفاتح منطقتي همذان والرّيّ

قدم نعيم بن مقرن مع أخيه النعمان بن مقرن وإخوته على رأس أربع مئة فارس من مزينة على النبي ﷺ فأسلم وأسلموا في شهر رجب من السنة الخامسة من الهجرة، وشهدوا مع الرسول ﷺ غزوة الخندق وبقية الغزوات التي تلتها. ونال نعيم شرف الصحبة والجهاد تحت لواء رسول اللَّه ﷺ القائد.

- **جهاده بعد النبي ﷺ:**

كان لنعيم بن مقرن وأخوه النعمان بن مقرن وإخوته الدور العظيم في قتال المرتدين فقاتل تحت لواء الصديق، وقاتل تحت لواء خالد بن الوليد، ولواء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأبلى في المعارك أعظم البلاء، فكتب عمر بن الخطاب إلى عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان والي الكوفة «استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا، فإني قد كتبت إليه بالتوجه من الأهواز إلى «ماه» فليوافوه بها، وليسر بها إلى «نهاوند»، وقد أمّرت عليهم حذيفة بن اليمان، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرِّن»[١].

- **قائد المقدمة للجيش الفاتح لنهاوند:**

حينما سار الأمير النعمان بن مقرن وعبأ جيشه لخوض معركة فتح نهاوند كان البطل نعيم بن مقرن على المقدمة. وخاض نعيم المعركة وقاتل قتال الأبطال، فلما استشهد النعمان تناول نعيم الراية من يد أخيه قبل أن تسقط، وسجّى النعمان بثوب، وأتى حذيفة بن اليمان بالراية فدفعها إليه[٢]. وكتم خبر استشهاد أخيه عن

---

(١) الطبري (٣/٢١٣).
(٢) الطبري (٣/٢١٧).

الجيش حتى لا يؤثر على معنويات الجيش في أحرج أوقات القتال.

وحين أقبل الليل وانتشر ظلامه، انهزم الفرس، وصرع الفيرزان فولى هاربًا مهزومًا، فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدّم القعقاع بين يديه، وقصد الفيرزان همذان، فلحقه القعقاع عند ثنية همذان، فصعد في الجبل، فأتبعه القعقاع حتى قتله، وأذهب اللَّه غيظ قلب نعيم وشفى صدره بفتح الفتوح في نهاوند.

نعيم بن مقرن الفاتح

- **فتح همذان:**

لما فرّ المشركون بعد هزيمتهم في نهاوند إلى همذان وتبعهم المسلمون في أثرهم وعلى رأسهم نعيم بن مقرن وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، فنزل المسلمون على همذان، وأخذوا ما حولها، فلما رأى ذلك «خسروشنوم» استأمنهم، فصالحه عليها، على أن يدفع الجزية للمسلمين.

- **فتح همذان مرة ثانية سنة ٢٢هـ:**

لما أعاد الفرس حشد قوّاتهم في «الري» شجع ذلك أهل «همذان» فكفر أهلها مع خسروشنوم، ونقضوا صلحهم مع المسلمين. وبلغت عمر بن الخطاب أنباءهم، فأمر نعيم بن مقرن أن يسير إليها وأن يدخلها عنوة عقابًا لأهلها حتى لا يعودوا لمثلها أبدا. وقال عمر في كتاب توليته القيادة لنعيم: «فإن فتح اللَّه على يديك همذان فإلى ما وراء ذلك في وجهك ذلك إلى خراسان»[(١)].

وخرج نعيم بن مقرن على تعبية إلى همذان فاستولى على بلادها جميعًا وحاصرها فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح بعد أن تولاهم الرعب، فصالحهم وقبل منهم الجزية على المنعة[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٢٢٢).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/٢٢٩)، والكامل (٢/٤٢٥).

- **النصر العظيم في «واج روذ»[(١)] يعدل النصر في «نهاوند» سنة ٢٢هـ:**

بينما نعيم بهمذان في اثني عشر ألفًا من الجند كاتب أهل الديلم وعلى رأسهم أميرهم «موتا»، وأهل الري وعلى رأسهم «الزينبي»[(٢)] أبو الفرخان، وأهل أذربيجان بقيادة «اسفنديار» أخورستم.. كاتب بعضهم البعض، فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا إلى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج إليهم نعيم فأقتتلوا بواج روذ قتالًا عظيمًا شديدًا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكن دونها فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقُتل منهم مقتلة كبيرة لا يُحصَوْن.

وقيل: إن المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبداللَّه إلى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال: «أحتسبها عند اللَّه الذي زيّن بها وجهي ونوّر لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله، ثم فتحها على مثل صلح نهاوند، وغلب على أرضها قسرًا، وقيل: كان فتحها على يد المغيرة بنفسه، وكان جرير على مقدمته، وقيل: فتحها قرظة بن كعب الأنصاري[(٣)].

قال بطلنا في فتح «واج روذ»:

فلما أتاني أن «مُوتا» ورهطه ... بنى باسل جرّوا جنود الأعَاجِمِ
نهضتُ إليهم بالجنود مساميًا ... لأمنع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا إليهم بالحديد كأننا ... جبال تراءَى من فروع القلاسم[(٤)]
فلما لقيناهم بها مستفيضة ... وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صدمناهم في «واج روذ» بجمعنا ... غداة رميناهم بإحدى العظائِمِ
فما صبروا في حومة الموت ساعة ... لحدِّ الرماح والسيوف الصوارم
كأنهم عند انبثات جموعهم ... جدار تشظّى لبنه للهوادِمِ

---

(١) «واج روذ» موضع بين همذان وقزوين.
(٢) الاسم الفارسي هو «الزنبدي» أو «الزبندي».
(٣) الكامل (٢/٤٢٥- ٤٢٦)، والطبري (٣/٢٣٠)، والبلاذري ص (٣٠٦).
(٤) القلاسم: الجبال.

أصبنا بها (موتا) ومَن لفّ جمعه وفيها نهاب قسمة غير غانم
تبعناهُم حتى أوَوْا في شعابهم نقتّلهُم قتل الكلاب الجواجِم[١]
كأنهم في «واج روذ» وجوههم ضئين[٢] أصابتها فروج المخارِم[٣][٤]

- **فتح الرَّيّ[٥] على يد البطل نعيم بن مقرِّن لله درّه:**

أمر عمر بن الخطاب نُعيمًا بقصد الريّ وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها. فانصرف نعيم من «واج روز» حتى قدم الريّ، وخرج الزينبي أبو الفرخان من الرَّيّ فلقى نعيمًا طالبًا الصلح ومسالمًا له ومخالفًا لملك الريّ وهو سياوخش بن مرهان ابن بهرام جوبين، فاستمد سياوخش أهل دُنْباوند، وطبرستان، وقومس، وجرجان فأمدوه خوفًا من المسلمين، فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري إلى جنب مدينتها فاقتتلوا به، وكان الزينبي قال لنعيم: إن القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلًا أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلًا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم، وَبيّتهم نعيم بياتًا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا، وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم، فانهزموا فقُتِلوا مقتلة عدوًا بالقصب فيها، وأفاء اللَّه على المسلمين بالريّ نحوًا من في «المدائن» وصالحهم الزينبي على الريّ، ومَرْزبه[٦] عليهم نعيم فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي، وأخرب نعيم مدينتهم وهي التي يُقال لها «العتيقة»، وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحديثة، وكتب نعيم إلى عمر بالفتح وأنفذ الأخماس، وكان البشير

---

(١) الجواجم: السائبة.
(٢) ضئين: جمع ضأن.
(٣) المخارم: جمع مخرم. وهو الأبرق.
(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٠- ٢٣١).
(٥) الرَّي: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن بفارس، بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخًا.
(٦) أي جعله عليهم مرزبانا.

المضارب العجلي، وأرسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدى به منه على «دنباوند» فأجابه إلى ذلك.

وقد قيل: إن فتح الريّ كان على يد قريظة بن كعب الأنصاري[1].

ولما كانت الري ملتقى تجارة واسعة تُجلب من الشرق والغرب، لذلك كان نصر المسلمين في الري نصرًا حاسمًا جعل المدن والأقاليم القريبة منها تسرع للصلح وأداء الجزية:

فتح سويد بن مقرن أخو نعيم «قومس»[2] سلمًا، وصالح نعيم أهل «دنباوند»[3] كما ذكرنا، وبفتح الري وتسليم هاتين المدينتين الكبيرتين لم يبق بين المسلمين وبين شواطئ بحر قزوين من أرض فارس غير «جرجان» وطبرستان وأذربيجان، وقد سلّمت جرجان وطبرستان لسُويد بن مقرن صلحًا. كما فتح المسلمون أذربيجان بعد مناوشات لا ترقى لدرجة الحرب.

- **نُعيم القائد:**

«لم يكن نعيم يحرص على تولي القيادة، بل تولّاها لكفاءته ومزاياه، خاصة وأن عمر كان لا يولي أحدًا قيادة الرجال إلا إذا كانت له مزايا خاصةً ترشحه لمثل هذا المنصب الرفيع - فقد أشار عليه عثمان بن عفان مرة بتولية رجل من المسلمين قيادة جيش من جيوشهم، فأجاب عمر: «أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رامٍ بالنبل، ولكن أخشى ألا يكون له معرفة بتدبير الحرب» لقد كان نعيم جنديًا ممتازًا وقائدًا ممتازًا.

---

(١) الكامل (٢/٤٢٧).

(٢) قومس: كورة كبيرة واسعة تشتمل على قرى ومدن، وهي في ذيل جبال طبرستان.

(٣) دنباوند: جبل من نواحي الري.. وينص صلح «دنباوند» على: «ألا يغار على أرضهم، وألا يدخل عليهم بغير إذنهم ما وفوا بعهدهم، على أن يدفعوا جزية مقدارها مئتا ألف درهم كل عام بن الطبري (٣/٢٣٢).

كان جنديًا ممتازًا، لأنه كان جنديًا عقائديًا ذا عقيدة راسخة ومعنويات عالية وضبط قوي وتدريب راق على الفروسية واستعمال السيف والرمح والنبل.

وكان قائدًا ممتازًا، لأنه كان يتمتع بموهبة فَذّة لإعطاء القرارات السريعة الصحيحة في أحرج الظروف، يتحلى بشجاعة شخصية نادرة وإرادة قوية ثابتة.

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب، يتضح لنا بجلاء حرصه الشديد على (اختيار مقصده وإدامته). كل معاركه «تعرضية»، يتحيّن الفرص (لمباغتة) أعدائه في الوقت والمكان المناسبين بالأسلوب المناسب، ويحرص على انجاز «تحشيد قواته» كما يحرص على «أمنها»، ويبذل قصارى جهده من أجل «تعاونها» كقوة موحدة في المعركة الدائرة ومع قوات المسلمين الأخرى في الجبهات الأخرى، كما كان يعمل على «إدامة معنويات» جيشه، ويؤمن لقواته كافة «أمورها الإدارية».

وسيذكر التاريخ للصحابي الجليل القائد الفاتح نعيم بن مقرن جهاده تحت لواء الرسول القائد، وموقف المشرف في حروب الردة، وبلاءه في معارك فتح العراق، وفي معركة «نهاوند»، وفتحه «همذان» و«الري» و«دنباوند»[1] .. رضي الله عنه، وأسكنه الفردوس الأعلى هو وإخوته الأبطال الميامين.

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس ص (١٢٨- ١٢٩).

(٣٧٨) الصحابي المحدِّث الفقيه راعي الإبل القائد
البراء بن عازب الخزرجي[١]
فاتح «أبْهَر» و«قَزْوين» و«جيلان» و«زَنجان»

هو الفقيه الكبير أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جُشَم بن مجدعة بن الحارث بن الخزرج. من أعيان الصحابة. وأبوه من قدماء الأنصار، وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب بن أنس الخزرجية.

- **إسلامه وجهاده مع النبي ﷺ:**

أسلم البراء وهو دون العاشرة قبل هجرة النبي ﷺ.

قال البراء: ما قدم علينا رسول اللَّه ﷺ، حتى قرأتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، في سور من المفصل[٢].

ردّه النبي لصغر سنه يوم بدر. قال البراء: استصغرني رسول اللَّه ﷺ يوم بدر أنا وابن عمر، فردنا فلم نشهدها[٣].

وروى أبو داود الطيالسي في مسنده بسنده عن البراء رضي الله عنه قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر.

ورواه عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء نحوه، وزاد: وشهدت أحدًا. والأولى قول من قال أنه لم يشهدها وأن أول مشاهده يوم الخندق.

فقد «أجاز رسول اللَّه ﷺ، البراء بن عازب يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة

---

(١) انظر ترجمته طبقات ابن سعد (٤/٢٦٩)، الإصابة (١/٤١١) ت (٦١٨)، وأسد الغابة (١/٣٦٢) ت (٣٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٩٤).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/٢٧٢).

(٣) رجاله رجال الصحيح: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١١١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

سنة ولم يُجز قبلها»[١].

ونال البراء شرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ القائد:

قال البراء: غزوت مع رسول اللَّه ﷺ خمس عشرة غزوة[٢].

- **جهاده بعد النبي ﷺ:**

شارك البراء في جهاد المرتدين، والظاهر أن البراء كان مع مجاهدي العراق لأنه فتح بعض بلاد فارس، وهي من فتوحات مجاهدي العراق.

وشهد مع أبي موسى الأشعري فتح تستر[٣].

قال ابن حجر: «وهو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين في قول «أبي عمرو الشيباني وخالفه غيره»[٤].

وأول ما ورد ذكر البراء قائدا: هو قيادته لمعارك تعبوية في فتح «دسْتبي الرازي»[٥] فقد بعث حذيفة سلمة بن عمرو بن ضرار الضبي ويُقال البراء بن عازب فأناخ على حصن الفرخان بن الزينبدي والعرب تسميه الزينبي وكان يدعى عارين فصالحه ابن الزينبي بعد قتال على أن يكونوا ذمة يؤدون الجزية والخراج وأعطاه عن أهل الري وقومس خمس مئة ألف على أن لا يقتل منهم أحدًا ولا يسببه ولا يهدم لهم بيت ناري. وأن يكونوا أسوة أهل نهاوند في خراجهم، وصالحه أيضًا عن أهل «دستبي الرازي» وكانت قسمين: قسمًا رازيًا وقسمًا همذانيًا».

---

(١) الطبقات الكبرى (٤/٢٧٢). وقال ابن الأثير في أسد الغابة (١/٣٦٢): «وأول مشاهده أحد، وقيل الخندق.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة (١/٤١١): إسناده صحيح، رواه ابن سعد في طبقاته (٤/٢٧٢).

(٣) الإصابة (١/٤١٢).

(٤) الإصابة (١/٤١٢)، (١/٣٦٢).

(٥) دستبي الرازي: كورة كبيرة واسعة كانت مقسمة بين الري وهمذان، فقسم منها يسمى «دستبي الرازي» وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمى «دستب همذان» وهو عدة قرى.

• الفاتح لأبهر(١) وقزوين(٢) وجيلان(٣) وزنجان(٤):

لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة ولي جرير بن عبدالله همذان، وولي البراء بن عازب قزوين، وأمره أن يسير إليها فإن فتحها الله على يده غزا الدَّيْلم منها، وإنما كان مغزاهم قبل ذلك من دستبي، فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى «أبهر» فقام على حصنها وهو حصن بناه بعض الأعاجم على عيون سدّها بجلود البقر والصوف واتخذ عليها دكة ثم أنشأ الحصن عليها، فقاتلوه، ثم طلبوا الأمان فآمنهم على مثل ما آمن عليه حذيفة أهل نهاوند وصالحهم على ذلك وغلب على أراضي «أبهر».

ثم غزا أهل «حصن قزوين»، فلما بلغهم قَصْد المسلمين لهم وجّهوا إلى الديالمة يسألونهم نصرتهم، فوعدوهم أن يفعلوا وحلّ البراء والمسلمون بعقوتهم فخرجوا لقتالهم، والديلميون وقوف على الجبل لا يمدون إلى المسلمين يدًا، فلما رأوا ذلك طلبوا الصلح، فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر، فأنفوا من الجزية وأظهروا الإسلام، فقيل: أنهم نزلوا على مثل ما نزل عليه أساورة البصرة من الإسلام على أن يكونوا مع من شاءوا، فنزلوا الكوفة وحالفوا زهرة بن حوية فسموا حمراء الديلم. وقيل: أنهم أسلموا وأقاموا بمكانهم وصارت أرضم عشرية، فرتب البراء معهم خمس مئة رجل من المسلمين معهم طليحة بن خويلد الأسدي، وأقطعهم أرضين لا حقّ فيها لأحد.

قال جندي من جنود البراء:

قد علم الدَّيْلَم إذْ تحارِبْ ... حين أتى في جيشه ابن عازب

---

(١) أبهر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من ناحية الجبل.

(٢) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا وإلى أبهر اثنا عشر فرسخا.

(٣) جيلان: اسم لبلاد كثيرة بين قزوين وبحر الخزر صعبة المسالك لكثرة جبالها.

(٤) زنجان: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال تقع بينها وبين أذربيجان، وهي قريبة من أبهر وقزوين.

بـأَنّ ظـنّ المشـركـين كـاذب فكم قطعنا في دُجَى الغياهب
مـن جبـل وَعْـر ومـن سبـاسـب

وغزا البراء الدَّيْلم حتى أدوا إليه الأتاوة.

وغزا جيلان والببر والطيلسان.

- **وفتح زنجان عنوة[١].**

وحارب بطلنا مع علي بن أبي طالب الخوارج في معركة النهروان كما في «أسد الغابة».

فلله در رجل الخزرج البراء بن عازب.

راعي الإبل: يقول: «ما كل ما نُحدِّثكموه عن رسول اللَّه سمعناه منه حدثناه أصحابنا، وكان يشغلنا رعي الإبل»[٢].

الفقيه: فقد كان من أصحاب الفتيان من الصحابة[٣].

وهو المحدث الذي روى عن النبي ﷺ ثلاث مئة وخمسة أحاديث[٤].

وهو القائد الفاتح لأوعر المناطق بين الجبال وعلى قممها.

وهذا صنف فريد من الرجال لا يكون إلا في هذا الجيل القرآني الفريد جيل الصحابة.

- **القائد:**

«تولى البراء منصب القيادة وهو في ريعان شبابه، وأنجز فتح البلدان التي فتحها وهو دون الثلاثين من عمره!

لقد كانت طبيعة الحرب التي خاضها البراء تحتاج إلى قائد حنكته التجارب

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣١٧- ٣١٨)، والكامل (٢/٤٢٦).
(٢) الإصابة (١/٤١٢).
(٣) أصحاب الفتيا من الصحابة ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١).
(٤) الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة ص (٢٧٦).

وعركته السنون، خاصة وأن العدو الذي يقاتله متفوق تفوقًا عدديًا ساحقًا على المسلمين، كما أن طبيعة الأرض التي يدافع عنها ذلك العدو جبلية وعرة تساعد المدافع على الدفاع المديد، كما أن العرب يصعب عليهم القتال في الأرض الجبلية - وهم أبناء الصحراء - كما أنهم يعتمدون إلى حد بعيد في حربهم على سرعة الحركة والحرب الخاطفة التي تعتمد على الفرسان، والجبال تحدّ من استخدام الخيل وتضيِّق نطاق الإفادة منها، كل هذا جعل مهمة البراء صعبة للغاية، ولكنه أثبت عمليًا أنه أهل لاجتياز كل هذه العقبات لما كان يتحلّى به من قابليات ممتازة.

إن البراء بذكائه الفطري وعقليته المتزنة كان قديرًا على إصدار القرارات السريعة الصحيحة، كما أنه كان يتحلى بالشجاعة الفائقة والإقدام العنيد - له شخصيته رصينة قوية وقابلية بدنية ممتازة وماض ناصع مجيد.

تلك هي مزايا قيادته التي أهّلته لتولي مناصب القيادة وهو في ريعان الشباب، وهي مزايا كفيلة لرفع من يتمتع بها إلى المناصب القيادية في كل زمانٍ ومكان.

إن التاريخ يذكر للبراء مفاخر كثيرة، كل واحد منها تكفي لتخليده»[1] فرضي اللَّه عنه من صحابي إمام، لسان حاله يقول:

أنت تدري أيها الحيرانُ عنّا كيف فوق الشمس أزمانًا حللنا

* * *

(١) قادة فتح بلاد فارس (١٣٣، ١٣٤).

(٣٧٩) الصحابي فارس قريش وشاعرها القائد ضرار بن الخطاب القرشي الفِهري رضي الله عنه فاتح ماسبذان

هو الصحابي ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فِهر القرشي.

وأمه ابنة أبي عمرو بن أمية، أخت أبي معيط، وكان ضرار يوم الفِجار على بني محارب بن فهر. وكان أبوه خطاب يأخذ المرباع[١]، وهو الذي غزا بني سُليم، وهو رئيس بني فهر. وجده عمرو بن حبيب هو آكل السَّقْب، وذاك أنه أغار على بني بكر ولهم سقْب[٢] يعبدونه، فأخذ السَّقْب فأكله.

وكان ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم، وحضر معهم كل المشاهد، وقاتل المسلمين أشد القتال وحرّض المشركين بشعره، وقتل عمرو بن معاذ أخا سعد ابن معاذ يوم أحد، وقال حين قتله: لا تَعدِمن رجلًا زوّجك من الحور العين. وكان يقول: زوّجت عشرة من أصحاب النبي ﷺ بالحور العين، وأدرك عمر بن الخطاب يوم أحد فضربه بالقناة، ثم رفعها عنه، فقال: يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة، والله ما كنت لاقتلك. وهو الذي نظر يوم أُحد إلى خلاء الجبل من الرماة، وأعلم خالد بن الوليد فكَرّا جميعًا بمن معهما حتى قتلوا من بقي من الرماة على الجبل، ثم دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم.

امترى مجلس من الأوس والخزرج: أيهم كان أحسن بلاء يوم أحد؟ فمرّ بهم ضرار بن الخطاب، فقالوا: هذا ضرار قد قاتلنا يومئذ وهو عالم بما اختلفنا فيه، فقالوا له: مَن كان أشجع يوم أحد، الأوس أو الخزرج؟ قال: لا، ما أدري ما

---

(١) المِرْباع: ربع الغنيمة التي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.
(٢) السَّقْب: ولد الناقة.

أَوْسكم من خَزْرجكم، ولكني زَوّجت يومئذ أحد عشر منكم من الحور العين[١].

وهو أحد الأربعة من فرسان قريش الذين حاولوا اقتحام الخندق يوم الأحزاب، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذكر ما كان من مشاهدته القتال، ويترحّم على الأنصار، ويذكر بلاءهم ومواقفهم وبذلهم لأنفسهم في تلك المواطن الصالحة.

وأسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وكان يقول: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، ومَنّ علينا بمحمد ﷺ.

قال ضرار بن الخطاب لأبي بكر الصديق: نحن كنّا خيرًا لقريش منكم، نحن أدخلناهم الجنة وأنتم أدخلتموهم النار[٢].

وكان يقول عمن قتله من الصحابة قبل إسلامه: الحمد لله الذي أكرمهم بيدي، ولم يُهني بأيديهم[٣].

● جهاده:

لما مات رسول اللّه ﷺ وارتدت العرب، ثبت ضرار وأهل مكة على الإسلام. وشهد ضرار يوم اليمامة تحت راية خالد بن الوليد، وكان ضرار مع قوات خالد، وشهد معه كل معارك العراق التي خاضها خالد هناك، وكان هو الذي حاصر قصر «الغَرِيِّين» في فتح الحيرة[٤]، وتحرك مع خالد من العراق إلى الشام، وشهد مع خالد كافة معاركه في طريقه من العراق إلى الشام، وشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معركة «اليرموك» وشهد مع أبي عبيدة فتوح الشام[٥] وعاد ضرار إلى العراق مع هاشم بن عتبة، وشهد «القادسية» وغنم فيها ضرار عَلَم الفرس الأكبر، فعُوِّض منه ثلاثين ألفًا،

---

(١) الاستيعاب (٢/٢١٠)، وأسد الغابة (٢/٤٣٦)، وتاريخ دمشق (٢٤/٣٩٨).
(٢) أسد الغابة (٣/٥٤)، وتاريخ دمشق (٢٤/٣٩٨).
(٣) تاريخ دمشق (٢٤/٣٩٨).
(٤) ابن الأثير.
(٥) تاريخ دمشق (٢٤/٣٩٢).

وكانت قيمته ألف ألف ومئتي ألف[١].

ولما نزل سعد والمسلمون على بهرسير ـ وهي المدائن الدنيا من الغرب ـ فرأوا الإيوان، فقال ضرار بن الخطاب «اللَّه أكبر، أبيض كسرى، هذا ما وعد اللَّه ورسوله، وكبّر وكبّر الناس معه»[٢].

وشهد ضرار تحت لواء هاشم بن عتبة معركة «جَلُولاء» فلما رجع هاشم منتصرًا من «جلولاء» إلى «المدائن» بلغ سعد بن أبي وقاص أن الهرمزان قد جمع جمعًا من القوات الفارسية في سهل ماسبذان فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب.

- **فتح «ماسبذان»[٣]:**

لما كتب سعد إلى عمر أن «آذين بن الهرمزان» قد جمع جمعًا وخرج بهم إلى سهل ماسبذان، كتب إليه عمر: «ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جندٍ، واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي، وعلى مجنبتيه، عبداللَّه بن وهب الراسبي[٤]، والمضارب بن فلات العجلي». فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب في جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضرار «آذين» أسيرًا فضرب رقبته، ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوة، فهرب أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحوّل سعد إلى الكوفة فأرسل إليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الأسدي فكانت أحد فروج الكوفة[٥]. وقد كان فتح ماسبذان بعد فتح حلوان.

---

(١) الكامل (٢/٣٣٠).

(٢) الكامل (٢/٣٥٥).

(٣) ماسبذان: مدن عدة منها: أريوجان، وهي مدينة في الصحراء بين الجبال، ومدينة الرذ والسيروان، وهي تقع في الطريق بين حلوان وجند يسابور.

(٤) صار بعد ذلك رأس الخوارج الذين حاربوا عليًا رضي الله عنه و«النهروان» فاللهم إنا نسألك حسن الخاتمة وموتًا على اعتقاد الصحابة رضي الله عنهم .

(٥) الكامل (٢/٣٦٩ـ ٣٧٠).

قال ضرار في أسر قائد الفرس «آذين»:

ويوم حبسنا قوم «آذين» جنده وقطراته عند اختلاف العوامل
وَزُرد وآذينًا وفهدًا وجمعهم غداة الوغي بالمرهفات الصواقل
فجاءوا إلينا بعد غبّ لقائنا بماسبذان بعد تلك الزلازل (١)

أمّا ما ذُكِر بأن ضرارًا قد قُتل يوم اليمامة أو بأجنادين فهذا غير صحيح.

- **ضرار القائد:**

«كان ضرار من فرسان قريش وشجعانهم، وأبرز ما في قيادته شجاعته الفائقة التي تستهين بالأخطار.

وكان في شجاعته وإقدامه مثالًا رائعًا لرجاله، يثير نخوتهم ببطولته الشخصية النادرة وبشعره الحماسي المتين؛ وقد ظهر أثر لسانه وسيفه واضحًا عندما قاد جيشًا من المسلمين لفتح منطقة «ماسبذان»، إذ لم يكد يعرف موضع القطعات الفارسية إلا وانقضّ عليهم بسرعة خاطفة وانقض هو بنفسه على قائد الفرس فأخذه أسيرًا، فانهارت مقاومة الفرس سريعًا وتركوا ساحة المعركة هاربين.

إن مفتاح مزايا قيادة ضرار هو شجاعته النادرة، وكان قد مارس الحروب في الجاهلية والإسلام مدة طويلة، فأصبحت خبرته في مكابدة العدو ومعرفته أسهل الطرق للقضاء عليه مع ذكائه اللماح، كل ذلك من العوامل البارزة لقابليته على إعداد الخطط العسكرية الصحيحة الدقيقة، وإعطاء القرارات السريعة السليمة؛ كما كان يطبق في معاركه بمقدرة فائقة مبدأ «المباغتة» أهم مبادئ الحرب على الإطلاق.

وكان بالإضافة إلى كل ذلك، ذا إرادة قوية وشخصية نافذة(٢).

فرضي الله عن الشاعر الفارس، القائد البطل ضرار بن الخطاب القرشي رضي الله عنه.

---

(١) معجم البلدان (٣٦٤/٧).

(٢) قادة فتح بلاد فارس ص (٩٤- ٩٥).

(٣٨٠) الصحابي القائد السائب بن الأقرع الثقفي رضي الله عنه فاتح مِهْرجان قُذَق[1] والصيمرة[2] من بلاد فارس

هو الصحابي السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن سالم بن مالك بن حُطيط بن جشم الثقفي.

قال البخاري: مسح النبي رأسه[3]. دخلت به أمه مُليكة على النبي ﷺ وهو غلام فمسح على رأسه ودعا له وعدّه ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، أما أكثر مؤرخي الصحابة فقد جعلوه من الصحابة، وهو الصحيح، إذ لم يكونوا يُؤمرون في الفتوح إلا الصحابة ولم يشارك في الجهاد تحت راية النبي ﷺ لأنه كان صغيرًا وهو ابن عم عثمان بن أبي العاص الثقفي[4]، وكان صهر أبي موسى الأشعري على ابنته.

- **جهاده:**

بعث عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن ليسير إلى «نهاوند»، وبعث إليه بكتابه مع السائب، ووليّ السائب الغنائم، وقال له: «إن فتح اللَّه عليكم فاقسم ما أفاء اللَّه عليهم بينهم، ولا تخدعني، ولا ترفع إليّ باطلًا، وإن نُكِب القوم فلا تريني ولا أراك»[5].

قال السائب: فجمعت تلك الغنائم ثم قسمتها، ثم أتاني ذو العوينين فقال: إن كنز النخيرخان في القلعة، قال: فصعدتها فإذا أنا بسفطين فيهما جوهر لم أر مثله

(١) مهرجان قذق: كورة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال.

(٢) الصيمرة: مدينة بمهرجان قذق، وهي بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان.

(٣) الإصابة (٣/١٤) ت (٣٠٦٣)، وأسد الغابة ترجمة (١٩٠٢)، والاستيعاب ت (٨٨٩).

(٤) أسد الغابة (٢/٣٨٨).

(٥) تاريخ الطبري (٣/٢١٣)، والبلاذري ص (٣٠٢).

قط، قال: فأقبلت إلى عمر وهو راث عنه الخبر وهو يتطوف المدينة، ويسأل فلما رآني قال: ويلك ما وراءك فحدثته بحديث الوقعة ومقتل النعمان وذكرت له شأن السفطين فقال: اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين»(١).

قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «لم يكن للعرب أمرد ولا أشيب أشدَّ عقلًا من السائب بن الأقرع».

وقال الشعبي: أن السائب شهد فتح مِهْرجان ودخل دار الهرمزان فرأى فيها ظبيًا من جص مادًّا يده، فقال: أقسم باللَّه إنه ليشير إلى شيء، فنظر فإذا فيه خبيئة للهرمزان فيها سفط من جوهر.

- **السائب الفاتح:**

لما انصرف أبو موسى الأشعري من نهاوند ـ وكان قد سار بنفسه إليها على بعث أهل البصرة ممدًّا للنعمان بن مقرن، سار معه السائب فمرّ أبو موسى «بالدينور» فأقام عليها خمسة أيام قُوتل منها يومًا واحدًا، ثم إن أهلها أقرّوا بالجزية والخراج وسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم فأجابهم إلى ذلك، ثم مضى إلى ماسبذان فلم يقاتله أهلها، وصالحه أهل «الشيروان» على مثل صلح الدينور وعلى أن يؤدوا الجزية والخراج.

وبعث أبو موسى عبداللَّه بن قيس الأشعري السائب بن الأقرع الثقفي وهو صهره على ابنته وهي أم محمد بن السائب ـ إلى «الصيمرة» مدينة مهرجان قذق ففتحها صلحًا على حقن الدماء وترك السباء والصفح عن الصفراء والبيضاء، وعلى أداء الجزية وخراج الأرض، وفتح جميع كور مهرجان قذق، وأثبت الخبر أنه وجّه السائب من الأهواز ففتحها(٢).

---

(١) البلاذري ص (٣٠٢).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣٠٤).

وشهد السائب «فتح أصبهان» تحت إمرة عبدالله بن عبدالله بن عتبان الأنصاري فلما فُتحت أمر عمر بن عتبان بالسير حتى يقدم على سهيل بن عدي لقتال من بكرمان، على أن يستخلف السائب على أصبهان[1]. ثم استعمله عمر على المدائن[2]، ثم تولى أصبهان ثانية أيام عثمان ذي النورين وبقي عليها حتى قُتِل عثمان رضي الله عنه[3] ومات السائب بها.

- **السائب قائدًا:**

«عقلية السائب المتزنة وتجربته الطويلة في الحرب، وانتماؤه إلى ثقيف أشجع القبائل العربية قبل الإسلام، كل ذلك جعله قديرًا على تولي مناصب القيادة بجدارة وكفاءة، ذلك لأن هذه العوامل تجعله قادرًا على إعطاء القرارات الصحيحة السريعة وإعداد الخطط العسكرية الناجحة وتنفيذها بدقة ومرونة وقابليته العسكرية هذه بالإضافة إلى أمانته المطلقة، وماضيه المجيد وخلقه الرفيع موضع ثقة رجاله وحبهم.

وبجانب هذا كان للسائب قابلية إدارية ممتازة، جعلته يوطد أركان الفتح الإسلامي في أصبهان. ويذكر للسائب بكل الخير أنه كان الساعد الأيمن لصهره أبي موسى الأشعري في كل فتوحاته فرضي الله عنهما ورزقهما فردوسه الأعلى وجوار نبيه صلى الله عليه وسلم.

* * *

---

(١) الطبري (٣/٢٢٤).

(٢) الإصابة (٣/١٤٩)، وأسد الغابة (٣/٣٨٨).

(٣) الطبري (٣/٣٧١).

(٣٨١) الصحابي القائد عروة بن زيد الخيل الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو الصحابي عروة بن زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضًا الطائي والده هو الصحابي زيد الخيل بن مهلهل وفد على النبي ﷺ على رأس وفد طيئ وكان سيدهم، وذلك في سنة تسع، فأسلموا وحسن إسلامهم، وسماه النبي ﷺ «زيد الخير»، وكان من فرسان العرب المشهورين.

قال أبو عمر: مات زيد الخيل منصرفه من عند رسول اللَّه ﷺ، وكان شاعرًا خطيبًا شجاعًا كريمًا، يُكنى أبا مُكيف.

بني عامر هل تَعْرِفون إذا غدا أبا مِكْنَفٍ قد شدَّ عَقْدَ الدوائرِ

وأقطع له رسول اللَّه ﷺ فَيْد[١] أرضين معها.

وكان لزيد من الولد مُكنِف بن زيد الخيل، وبه كان يُكنَى، وقد أسلم وصحب النبي ﷺ، وشهد قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد، وكان له بلاء.

وله أيضًا حُرَيث بن زيد، وكان فارسًا، وقد صحب النبي ﷺ، وشهد الردة مع خالد، وكان شاعرًا.

أما بطلنا صاحب الترجمة: فهو صحابي شهد قس الناطف «يوم الجسر» أو «المروحة» وقاتل في هذا اليوم قتالًا شديدًا[٢].

وشهد القادسية، ويوم مِهران فأبلى وقال في ذلك شعرًا[٣].

- **الفاتح:**

كتب عمر بن الخطاب إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من وقعة «نهاوند» يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى «الري» و«دستبى»

---

(١) فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة.
(٢) الكامل (٢/٢٨٧).
(٣) تاريخ دمشق (١٩/٥٢٢).

في ثمانية آلاف ففعل، وسار عروة إلى ما هناك فجمعت له الديلم وأمدهم أهل الري فقاتلوه فأظهره اللَّه عليهم فقتلهم واجتاحهم ثم خلف حنظلة بن زيد وقدم على عمار فسأله أن يوجهه إلى عمر، وذلك أنه كان القادم عليه يخبر الجسر، فأحب أن يأتيه بما يسره، فلما رآه عمر قال «إنا لله وإنا إليه راجعون» فقال عروة: بل أحمد اللَّه فقد نصرنا وأظهرنا، وحدّثه بحديثه، فقال: هلا أقمت وأرسلت قال: قد استخلف أخي وأحببت أن آتيك بنفسي، فسمّاه البشير.

قال عروة:

برزت لأهل القادسية معلمًا ... وما كُلٌّ من يغشى الكريهة يعلمُ

ويومًا بأكناف النخيلة قبلها ... شهدت: فلم أبرح أُدَمِّى وأكلمُ

وأيقنت يوم الديلميين أنني ... متى ينصرف وجهي إلى القوم يهزموا

محافظة أني امرؤ ذو حفيظة ... إذا لم أجد مستأخِرًا أتقدَّمُ[١]

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٣١٣).

(٣٨٢) الصحابي القائد
كثير بن شهاب الحارثي المَذْحجي رضي الله عنه
فاتح قزوين والري مرة ثانية

هو الصحابي كثير بن شهاب بن الحُصينْ ذي الغُصّة الحارثي المَذْحجي، وكان سيد مِذْحج بالكوفة.

قال ابن الأثير: في صحبته نظر، وقال ابن عساكر: يُقال إن له صحبة ولا يصح. وقال العجلي وابن أبي حاتم: تابعي، قال ابن حجر: ومما يقوي أن له صحبة أنهم ما كانوا يُؤمرون إلا الصحابة وكتاب عمر إليه يدل على أنه كان أميرًا(١).

قال ابن الأثير: هو الذي قتل الجالينوس الفارسي يوم القادسية وأخذ سلبه، وقيل: قتله زهرة بن حَوِيّة.

● جهاده:

لما عزل عمر بن الخطاب عمارًا وولّى المغيرة بن شعبة الكوفة، ولّى المغيرة بن شعبة كثير بن شهاب الحارثي «الري» و«دستبى»، وكان لكثير أثر جميل يوم القادسية، فلما صاروا إلى الريّ وجد أهلها قد نقضوا فقاتلهم حتى رجعوا إلى الطاعة وأذعنوا بالخراج والجزية.

وغزا الديلم فأوقع بهم وغزا الببر والطيلسان(٢).

قال ابن عساكر: كان قد ولي الري في أيام معاوية، وهو الذي تولى فتح قزوين، وقيل تولى فتحها البراء بن عازب(٣).

---

(١) الإصابة (٥/٤٢٧) ت (٧٣٩٣)، وانظر أسد الغابة (٤/٤٣٤) ت (٤٤٢٩)، وطبقات ابن سعد (٦/١٩٦)، وتاريخ دمشق (٥٠/٢٨)، وفتوح البلدان ص (٣١٤).

(٢) فتوح البلدان ص (٣١٤).

(٣) فتوح البلدان ص (٥٠/٢٩).

وقال أبو زرعة: فتح قزوين كثير بن شهاب بعد فتح الري بكم[١].

وكان مع أبي موسى الأشعري في فتح «أصبهان»[٢].

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جميلًا حازمًا مقعدًا، فكان يقول: ما من قعد إلا وهو عيال على أهله سواي.

وكان على الري ودستبى وقزوين.

وكان إذا غزا أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس إبر، وخيوط كتان، وبمخفف ومقراض ومخلاة وتليسة.

فرضي اللَّه عن القائد الصحابي كثير بن شهاب الحارثي.

* * *

---

(١) المصدر السابق (٥٠/٣٣).

(٢) انظر تاريخ دمشق (٥٠/٣٣).

(٣٨٣) الصحابي القائد
قَرَظة بن كعب الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه
فاتح الرَّيِّ

هو الصحابي الجليل قَرَظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن الأطنابة الأنصاري الخزرجي ويُقال: قرظة بن عمرو بن كعب بن عمرو بن عائذ بن زيد بن مناة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. هكذا نسبه ابن الكلبي وغيره[١].

قال ابن سعد: أمه خليدة بنت ثابت بن سنان، وهو أخو عبدالله بن أنيس لأمه.

وقال ابن الأثير: أمه جندُبة بنت ثابت بن سنان.

قال البخاري: له صحبة.

- **جهاده:**

شهد قرظة أحدًا وما بعدها[٢]. وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر مع عمار ابن ياسر إلى الكوفة من الأنصار. وكان فاضلًا.

قال ابن الأثير: «**فَتَحَ الرَّيَّ سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر**»[٣].

وقال ـ أيضًا ـ: «قال ابن السكن: وهو الذي قتل ابن النوَّاحة صاحب مسيلمة في ولاية ابن مسعود بالكوفة، وَفَتَحَ الرَّيَّ سنة ثلاث وعشرين».

وقال يحيى بن ضريس قاضي الري: «لم تزل الرَّيُّ بعد أن فُتِحَتْ أيام حذيفة

---

(١) الإصابة: (٥/ ٣٢٩) ت (٧١١٣)، وانظر أسد الغابة ت (٤٢٩١).

(٢) الإصابة (٥/ ٣٢٩)، وأسد الغابة: (٤/ ٣٨٠).

(٣) أسد الغابة: (٤/ ٣٨٠).

تنتقض وَتُفتح حتى كان آخر مَنْ فَتَحَهَا قَرَظة بن كعب الأنصاري في ولاية أبي موسى الكوفة لعثمان، فاستقامت»[١].

وفي «الكامل»: «في فتح همذان ثانيًا: قيل: فتحها قرظة بن كعب الأنصاري»[٢].

وفي فتح الري قال ابن الأثير: «وقد قيل: إن فتح الري كان على يد قرظة بن كعب الأنصاري».

مات بالكوفة والمغيرة وَالٍ عليها، وبذلك جزم ابن سعد.

وفي الاستيعاب: «**توفى في خلافة علي في دار ابْتَنَاهَا بالكوفة وصلى عليه علي بن أبي طالب**».

فَرَضِيَ اللَّه عن القائد الخزرجي الأنصاري فاتح الري لآخر مرة قَرَظة بن كعب.

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣١٥.
(٢) الكامل ٢/ ٤٢٦.